رحيل .. في جسد البحر

عباس ابراهيم

وحده البحر ،
يعرف سر التصاق السفائن بالماء ،
سر ارتحال الحصى ،
والرمال ،
وللرمل أيضا لغات ،
هي الآن مجبولة بتراب الجبال ،
ونحن
امتزجنا مع الماء ،
قلنا
سيغرقنا البحر ،
ـ ها نغرق الآن ،
يأخذنا للينابيع ـ
قلت اغرقي الآن من مائه الابدي ،
اكتبي للعصافير ،
« طعم الملوحة في شفتيه ،
المسافات مجنونة في دمه ،
الـ ... » .
تذكرت :
كانت رمال السواقي تهاجر ،
بحثا عن النهر ،
ـ لا لغة للسواقي ـ
ولكن للنهر أهزوجة ،
للنباتات أنشودة ،
وجهك الصدفي
له لغة النهر ،
أقراه في صخور الشواطىء ،
عند المصبات ،
ارسمه في دفتر ،
من قشور الغصون الطرية ،
والبحر يكتب أسماءه في كتاب الرمال ،
تهجيت أسماءه :
ا ، ل ، ب ، ح ، ر ،
و ا ، ل ، ع ، ش ، ق ،
و ا ، ل ، م ، و ، ت ،
عيناك في لغة البحر ،
دربان للسمك العائد ـ الآن ـ من رحلة النسل ،
يا امرأة من تخوم المجاهيل ،
ـ كيف عبرتِ دوائر خوفي ،
تسللت
أم دفعتك العواصف ؟
لا فرق ،
كل المسالك مفتوحة .
فادخلي ، واقرأي أبجدية عشقي ،
اكتبي للذين يجيئون ،
« في دمه العشق ،
في دمه البحر ،
والشجر المترهل ،
والتربة الراحلة » .

* * *

يحدثنا البحر ،
ـ ها لغة الماء أقرب للقلب من طلقة فارغة ـ
يحدثنا البحر ،
كل اللغات تجيء من الجوع ،
يا امرأة .
ان في جسدي لغة الخبز ،
خبأها الجوع بين العظام ،
ها هي الآن تأتي مع الموج ،
مثل السفائن ،
تختصر الوقت في لحظة ،
ها هي الآن تستنزل المطر ،
اختبئي في مسامي ،
سافري في عروقي ،
فكل الموانىء مكتظة بالقادمين ،
وكل الموانىء مكتظة بالعابرين .

حمص

عباس ابراهيم